



اللغة العربية - الثانية باك آداب وعلوم إنسانية

إحياء النموذج - نموذج شعري 1-1
لي في من مضى مثل (محمود سامي البارودي)
الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

- I- النص
- II- تمهيد
- III- دلالة العنوان
- IV- فرضية النص
- V- قضية النص
- VI- وحدات النص
- VII- المعجم
- VIII- تحليل النص
- 1/ البنية الايقاعية
- 2/ الصور الشعرية
- 3/ الأساليب
- IX- تركيب وتقويم

I- النص

لي في من مضى مثل

وَرَاحَ بِالْجَدَّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَرَلُ
بَعْدَ الْإِبَاءِ؛ وَيَوْمَ الْفَتَى ذُولُ
فِي الْحُبَّ، لِكِنْ قَضَاءُ خَطْهُ الْأَزَلُ
فِي الْذَاهِبِينَ؛ وَلِي فِي مَنْ مَضَى مَثَلُ
وَأَطْلَعَنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكَلَلُ
وَالْجُرُّ بِالْجَابِرَاتِ الْبِيْضِ مُشَغِّلُ
خُجُولُهُ غَيْرُ يُمْنَى زَانَهَا الْعَطْلُ
يُمْنَاهَا، وَأَبْثَثَ فِي أَغْطَافِهِ الْطَفْلُ
خُضْرُ جَحَافِلُهُ، فِي خُلُقِهِ مَيْلُ
مَاضِي الْغَرَارِ إِذَا مَا اسْتَفَحَلَ الْوَهَلُ
وَقَتَ الْفَرَابِ، وَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ بَلَلُ
بِهِمْ، يُظَهُونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُبِلُوا
تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَخْيَانًا، وَتَعْشِدُ
كُلُّ الْحَدِيدِ، وَلَمْ يَثْأَرْ بِهِ فَلَلُ
تَثْمُو السَّوَامِ بِهَا، وَالنَّبْتُ يَكْتُهُلُ
لَبُّوا سِرَاعًا، وَإِنْ أَنْزَلْ بِهِمْ نَزْلَوا
إِلَّا وَلَصَدِيرُ فِي سَاحَاتِنَا نُزَلَ
كَمَا اشْتَهَيْنَا؛ فَلَا غِشْ، وَلَا دَغْلُ
مَا يَسْتَغْبِرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَةِ التِّمْلُ
فَأَكْثَرُ النَّاسِ—إِنْ جَرَبْتُهُمْ—هَمَلُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَخْسُنُ الْعَمَلُ
فِي بَغْضِ حَلَالِهِ يُسْتَخْسِنُ الْعَجَلُ
عِلْمًا لِنَفْسِكِ؛ فَالْأَخْلَاقُ تَنْتَقِلُ

- 1- رَدَ الصَّبَا بَعْدَ شَيْبِ الْلَّمَةِ الْغَرَلُ
- 2- وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبَرٍ إِلَى جَزَعٍ
- 3- فَلَوْ قَدِرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ
- 4- وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةُ سَلَفَتُ
- 5- فَإِنْ تَكُنْ تَازَعْتِي التَّفْسُ بِأَطْلَاهَا
- 6- فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامُ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً
- 7- بِكُلِّ أَشْقَرِ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ
- 8- كَانَهُ خَاصَّ نَهَرَ الصُّبْحِ، فَأَنْبَذَتْ
- 9- زُرْقَ حَوَافِرُهُ، سُودَ نَوَاطِرُهُ
- 10- أَنْضَيَ بِهِ الْهَوْلَ مِقْدَامًا، وَيَصْخَبِنِي
- 11- يَمْرُ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ
- 12- تَرَى الرَّجَالَ وَقْرَفَا بَعْدَ فَشْكِهِ
- 13- كَانَهُ شَعْلَةُ فِي الْكَفِ قَائِمَةً
- 14- يَفْلُ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِ قَبْضَتُهُ
- 15- بَلْ رُبُّ سَارِيَةِ هَطْلَاءِ دَارِيَةِ
- 16- يَمْمُثُهَا بِرْفَاقٍ إِنْ دَعَرْتُ بِهِمْ
- 17- فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أَوْ بَغْضُ ثَانِيَةٍ
- 18- فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتِنَا
- 19- هَذَا هُرَّ الْعَيْشُ، لَا لَغْرُ الْحَدِيدِ، وَلَا
- 20- فَاتَّبَعَ هَوَالَّ، وَدَعَ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ
- 21- وَاغْرِفَ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ
- 22- فَالَّرِيْثُ يُحَمَّدُ فِي بَغْضِ الْأَمْوَرِ، كَمَا
- 23- هَذَا هُرَّ الْأَدْبُ الْمَأْثُورُ، فَارْضُ بِهِ

ديوان محمود سامي البارودي. شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم.
دار الجيل بيروت ط.1. سنة 1995. ص: 430 وما بعدها (بصرف).

||- تمهيد

فقد الشعر العربي، في عصر الانحطاط، كثيراً من عناصر قوته وحيويته، لاعتماده على التقليد والاهتمام بالشكل، والاعتناء باللفظ على حساب المعنى، واقتصراره على بعض الأغراض التي تأتي مع المناسبات من مدح وتهنئة ورثاء وهجاء...، لكن في عصر النهضة أصبحت غاية شعراء البعث انتشال الشعر من مستنقع الرداءة الذي غاص فيه، فبدأ ينتعش، واستعاد شيئاً من قوته التعبيرية وأخذ يرتبط بالحياة من جديد. وحمل مجموعة من الشعراء لواء هذه الحركة، نذكر منهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وجميل صدقى الزهاوى ومحمود الروصافى، والجوهري من المشارقة. ومن المغاربة نجد علال الفاسى و محمد المختار السوسي و محمد الحلوى و محمد بن إبراهيم، ويعد صاحب النص من الرواد المصرىين لهذه الحركة، لدرجة اعتبار بعض النقاد له المؤسس الحقيقى لها، ومن الذين ساهموا في إعادة الاعتبار للشعر العربى القديم، من خلال مجموعة من القصائد التي تمثل فيها نهج القدماء. فإلى أي حد تمثل قصيده " لي فيمن مضى مثل" إحياء النموذج شكلاً ومضموناً؟

||- دلالة العنوان

جاء العنوان "لي فيمن مضى مثل" جملة اسمية مكونة من "لي" شبه جملة وهو متعلق بخبر محنوف لمبدأ مؤخر، و"فيمن مضى" شبه جملة متعلقة بالخبر الذي تعلق به الجار والمحرر الأول، و"مثل" مبدأ مؤخر سوغ تأخيره كونه نكرة، أما من الناحية الدلالية فيعبر العنوان - وهو عنوان من وضع لجنة التأليف - صراحة على أن الشاعر ينظر إلى القدماء "من مضى" على أنهم القدوة والأسوة والمثال، وقد عبر عن هؤلاء بمن، وهو اسم موصول شائع في جنسه، وإذا علمنا أن صاحب النص شاعر فالاكم أنهم سيتذمرون مثلاً في الشعر.

٤- فرضية النص

اعتماداً على دلالة العنوان وشكل القصيدة الذي يبدو محاكيًّا للقصيدة العمودية و بدايتها واسم الشاعر، واتكاء على بعض المشيرات التصيفية مثل: (الأبيات 4 و 6 و 17) نفترض أن القصيدة تقليدية تدرج ضمن خطاب إحياء النموذج، يعبر فيها الشاعر عن افتخاره بنفسه. فما هو المضمون الكلي للقصيدة، وما وحداتها الدلالية؟ وما الحقول الدلالية المهيمنة؟ وما الأساليب الفنية التي وظفها الشاعر في قصيده؟ وما مدى تمثيل النص للاتجاه الإحيائي شكلاً ومضموناً؟

٥- قضية النص

ارتباطاً بمكون الدلالة في النص، نسجل أنه على عادة الشعراء العرب القدامى استهل الشاعر قصيده بمقيدة وجداً نية ذكر فيها الحالة التي هو عليها بعد تصرم الصبا وأيام الفتولة، من جزع وضجر وأشواق وأحداث.. لينقل الحديث إلى مظاهر الفخر والفروسيّة والشجاعة عند خروجه إلى الصيد بمعية رفقة له على متن فرس عربية أصيلة في وقت الغداة طلباً للمتعة ودون التفريط في المروءة رابطاً أجواءها بأجواء ساحة الحرب. ليختتم القصيدة بتقديمه للقارئ بإرشادات وحكمًا تعبّر عن رأيه وتقوم على منظومة القيم النبيلة الأصيلة من مثل: الصدق / الواقعية / التأمل.

٦- وحدات النص

- من البيت 1 إلى 4: استهلال الشاعر نصه بمقيدة وجداً نية يشكو فيها ولعه رغم تقدم سنّه.
- من البيت 5 إلى 14: الفخر بالفروسيّة من خلال وصف الفرس والسيف.
- من البيت 15 إلى البيت 18: وصف الصيد وما يتحقق فيه من لذة وعزّة ومرءة.
- من البيت 19 إلى آخر القصيدة: الختم ببعض الحكم المتضمنة لآداب وفضائل العرب الأسلاميّة.

في ضوء ما سبق، يتبيّن أن النص متعدد المفاصيل والأغراض: وهذا ملحوظ واضح من ملامح إحياء النموذج، وإن كان ينتظمها خيط دلالي واحد هو الفخر بالذات المتعددة البطولات: بطولة في الحب، وبطولة في الحرب، وبطولة في الحياة.

٧- المعجم

قد استعان الشاعر في التعبير عن هذه المعاني بمعجم شعري تتميز ألفاظه بالقوة والجزالة متأثراً في ذلك بالقدماء، كما أن الملاحظة المتمعنة في هذا المعجم تسفر عن تجاور حقولين دلاليين؛ حقل الجد" الفروسيّة والحب والحكم" وحقل الهزل "الصيد والغزل" ،

يمثل الحقل الأول الألفاظ التالية: "الجد / الجزع / البارات / أشقر / مشتعل / مقداماً / ماضي الغرار / الريث ... يحمد / يستحسن العجل ...

ويمثل الثاني: الصبا / الغزل / الهزل / المحبة / الحب / الجزء / الصيد.....

رغم ما يظهر من تضاد بين الحقلين إلا أن الشاعر جعل العلاقة تقوم بهما على أساس التكامل إشارة منه إلى ضرورة الجمع بين الجد والهزل لتحقيق التوازن النفسي.

وانطلاقاً من هذا الجدول نستخلص أن النص اعتمد مدونة معجمية جاهزة بتوظيف ما تناول في النص الشعري القديم من مفردات لم وكلمات وعبارات عتيقة لم تعد متداولة.. وهي سمة من سمات الشعر الإحيائي ومن خلفة النص الشعري التراثي أيضاً.

XII- تحليل النص

٨-١/ البنية الابقائية

وأما على مستوى البنية الإيقاعية فقد نظم الشاعر قصيده، على وزن بحر الطويل، (مستفعلن فأعلن $\times 4$) وعرضه وضريه مخبونان (حذف الثاني الساكن). والذي تنسجم تفاعيله وقوته مع غرض النص الأساسي ألا وهو الفخر. وبالإضافة إلى الوزن الشاعر يتعزز إيقاع القصيدة بالالتزام الشاعر وحدة الروي (اللام) المضموم ووحدة القافية (هلهل) وقد وردت متراكبة، مطلقة مجردة من الردف والتأسيس وطويلة نسبياً لتتناسب مع الغرض الفخري الذي يستدعي طول النفس. يضاف إلى ذلك التصريح الوارد في مطلع القصيدة حيث تساوى العروض والضرب. هذا من حيث الإيقاع الخارجي، أما فيما يتعلق بالإيقاع الداخلي للنص، فنميز فيه بين التكرار والتوازي، فال الأول يظهر في تكرار حروف بعضها أهمها روي القصيدة تكرار اصامت: اللام.. + تكرار الصائب: الضمة.. + تكرار الكلمات: الغزل / الهزل. عمل / العمل.. + تكرار الصيغ الصرفية... فضلاً عن بعض الموازنات الصوتية التي تتحقق بالتوازي التوازي المتعدد الأطراط صوتياً وصرفياً ودلالياً وتركيبياً كما في البيت التاسع "9" زرق حوافره.. مما يسهم في خلق الانسجام الصوتي ذي الوقع المرير والتأثير المرن على السامع..

وقد حق النسق الإيقاعي الداخلي وظيفة مزدوجة؛ الدلالية (تقرير المعنى) والجمالية (تماسك النص وخلق جرس موسيقي)، وقد ظهر جلياً من خلال هذه المرحلة في التحليل وفاء الشاعر البارودي للهيكل الهندسي للقصيدة التقييدية من خلال احترام خاصية نظام الشطرين ووحدة الوزن والقافية والروى والاحتفال بالتوازنات الصوتية.

2-8/ الصور الشعرية

وإذا انتقلنا إلى الناحية الفنية نجد أن الشاعر اعتمد بعض الصور الشعرية، ملتزماً بمكونات البلاغة القديمة، مثل التشبيه في البيت 13: (كانه شعلة في الكف قائمة): تشبيه السيف أثناء تحريكه بالشعلة من النار تحركها الريح.. والأبيات 8 - يمر بالهام من البرق ب 11- ب 13.. والاستعارة المكنية في البيت 3 (لكن قضاء خطه الأزل): استعار صفة الخط من الإنسان للأزل..

وقد أدت هذه الصور الشعرية كما عند القدماء وظيفة تزيينية، كما أن القصد إثبات المعنى وتأكيده في ذهن المتلقي ترسيحاً لشعرية ت نحو منحى الوضوح، اذن لم يخرج البارودي عن تقاليد القصيدة العربية في استناده على طريقة الشعراء القدماء، التي تعتمد في صورها على الوصف بشكل كبير.

الأسلوب / 3-8

أما الأساليب فيمكن أن نميز فيها بين أسلوبين: إنشائي وخبرى، ونجد الشاعر يقلد الشعراء القدماء في تغليب الأسلوب الخبرى (رد، راح، عاد، وللمحبة فقد). باستثناء الوحدة الدلالية الأخيرة التي حضرت فيها بعض الصيغ الإنسانية كالأمر (فأتابع هواك، واعرف، فارض به ..) وهذا الإخبار استدعاى الإكثار من الأفعال الماضية لاسيما في

المقدمة العاطفية، لأنها تعكس تجربة انقضت وغدت مجرد حلم تهفو إليه نفس الشاعر. بينما طفت الأفعال المضارعة على وحدة الفخر بالفروسيّة لكونها تمثل مرحلة حاضرة ولا تزال قائمة..

وهذه الهيمنة للأسلوب الخبري، المتجسد في تقنيتي السرد والوصف، ينسجم والممضامين المتناولة التي تفترض إحاطة المتلقي بعوالم الشاعر المدهشة. كما أن الحضور البارز للأسلوب الإنسائي في نهاية القصيدة من خلال أسلوب الأمر الذي يدل على النصح والإرشاد.

وبخصوص حضور ضمير المتكلم فإن ذلك يتمشى وغرض القصيدة في الفخر، حيث أضفى الشاعر على نفسه صفات الفرادة (الفارس / القائد / الحكيم).

IX- تركيب وتقويم

مما سبق نخلص إلى أن هذا النص يتميز بالخصائص التالية: الحفاظ على البناء التقليدي للقصيدة " مقدمة وجданية + غرض أساسي" ، وإعادة إنتاج نفس الأغراض الشعرية القديمة وتنويعها، ما ترتب عنه استقلال كل بيت شعري وبالتالي غياب الوحدة الموضوعية، فضلا عن استلهام نفس القيم الثقافية والأخلاقية والفنية التي كانت سائدة في الشعر القديم، واعتماد مدونة معجمية جاهزة، والالتزام بعمود الشعر، محافظا على الشطرين المتناظرين ووحدة الروي والقافية، واللغة الجزلة الفخمة، واستند في التصوير إلى صور شعرية حسية بيانية.

وتأسيسا على ما سبق، وفق الشاعر البارودي في مجاراته الشعراء القدامى، حيث تطرق للأغراض نفسها، وبنفس الطريقة وكأنه شاعر قديم تأخر به الزمان. فهل الشعر الكلاسيكي كله ينحو نفس المنحى؟ وما مظاهر التجديد في هذا التيار عند الشعراء اللاحقين؟